

سلسلة رسائل العفو وإصلاح ذات البين
الرسالة الرابعة

حقوق الجار..

تأليف

د / ناصر بن مسفر الزهراني

رئيس اللجنة التنفيذية للعفو وإصلاح ذات البين

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الجار

لازلنا نعيش مع مجموعة من المثل السامية، والقيم العالية، والأخلاق الزاكية، ننفیؤ ظلالها، نقطف ثمارها، نتأمل رواءها، نشتم عبيرها . تلك المثل التي يفوح شذاها عطرا تزكو المجتمعات بعقبه، وتنتشي النفوس بعبيره، وتسعد الإنسانية بأريجه . تلك المثل التي ترفع راية هذا الدين على كل راية، وتعلن أنه السبيل الأمثل بل الأوحـد للهداية، والطريق الأقوم للعناية والرعاية، توحيد وعقيدة، عبادة وريادة، سعادة ورشادة، خلق ومثل، حب وتضحية جود

وكرم بر وصلة، رعاية وعناية، سلام ووئام،
تناصح وتشاور تعاون وتأزر، تألف وتآخ ..

لقد مر بنا الحديث عن بر الوالدين، وطاعة
الأبوين، وتلك المسألة هي نقطة البداية
للانطلاقة الأخلاقية العظمية المنبثقة من الإيمان
بالله ورسوله ﷺ.

تلك الانطلاقة التي تبدأ من الأسرة
الصغيرة لتعم بروعتها وحسنها وجمالها
وجلالها الأسرة الإنسانية جمعاء، تلك المثل
والتعاليم بدايتها أشبه ما تكون بالحصاة، تقذف
بها في اليم ثم تبدأ تنداح الدائرة وتتسع في
تناسق بديع، ومنظر بهيج . فالانطلاقة تبدأ من

البيت بل من أخص ساكني البيت، وهما
الوالدان، ثم تتسع الدائرة لتشمل الزوجة والأبناء
والأقارب والأرحام، لتعم المسلمين جميعا بل
وغير المسلمين .

وبعد حديثنا عن الآباء والأبناء، والأقارب
والأرحام، ننتقل إلى فئة أخرى من فئات
المجتمع التي شملتها العناية الربانية، والرحمة
الإلهية، والتوجيهات القرآنية، وقد جاءت مرتبة
بحسب الأهمية والألوية، ويجمعها جميعا
قول الحق جل وعلا ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا
تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ
الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا

مَلَكَتْ أَيْمَانَكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَأَيُّبٌ مِّن كَانَ مُخْتَالًا
فَخُورًا ﴿٣٦﴾ النساء: ٣٦.

فقد بدأت الآية بالحديث عن القاعدة
الأولية التي يقوم عليها المجتمع المسلم وهي
قاعدة التوحيد الخالص، التي تنبثق منها حياته،
وينبثق منها منهج هذه الحياة في كل جانب، وفي
كل اتجاه . ثم يأتي بعد ذلك الأمر ببر الوالدين
والإحسان إليهما، ثم الإحسان إلى ذوي القربى،
وقد تحدثنا عن ذلك، إذ لا بد أن يبدأ البر
والإحسان من البيت أولاً مع الوالد والوالدة، مع
الابن والبنت، مع الزوج والزوجة، مع الإخوة
والأخوات، مع العممة والعمات .. إلخ . وهكذا

تتسع الدائرة لتشمل جميع الأقارب والأرحام،
ثم عموم المسلمين ثم الإنسانية جمعاء .

ومن لم يتعلم البر والإحسان مع الأسرة
الصغيرة - أهله وأقاربه - فلن يفلح في تعامله مع
الأسرة الكبيرة - المسلمين جميعا - ومن لم يقيم
بواجبه تجاه والديه وذويه، فلا خير فيه يرجى
لغيرهم، ولا إحسان منه يؤتى لسواهم . فإن
مشاعر البر والإحسان والصلة وحسن المعاملة
إذا عمرت بها الأسرة الصغيرة، تتسع بعد ذلك
وتفيض على جوانب الإنسانية الأخرى . فالمرء
يتعلم حسن التعامل، وجميل الإحسان، ورائع
الخلق في جو الأسرة الحاني، ومحضنها
الرفيق، ومن هناك يتوسع في علاقاته بالأسرة

الإنسانية كلها، بعد أن زرعت بذورها في حسه،
وتغلغت روعتها في وجدانه، وأضحت جزءا
من كيانه، وفيضا من إيمانه، ولهذا المعنى أشار
النبي ﷺ بقوله: «خيركم خيركم لأهله وأنا
خيركم لأهلي» [رواه الترمذي، وابن ماجه]، فالذي لا
تبدأ خيريته بأهله، ولا تنطلق أفضليته من بيته،
فلا خير فيه لغيرهم .

حديثنا هنا عن حسن الجوار ومنزلة الجار
في الإسلام . ولقد جاوزنا الحديث عن اليتامى
والمساكين - بحسب ترتيب الآية - لأن الإحسان
إليهما لازال والحمد لله بخير، ولكن قدمنا
الإحسان إلى الجار لأن ذلك من الظواهر الهامة

التي تحتاج إلى عناية ورعاية، وتنبيه وتذكير،
وتناصح وتشاور .

إكرام الجار من شيم العرب :

الإحسان إلى الجار هو شيمة من شيم
العرب، حتى في أيام الجاهلية يقول عنترة :
وأغض طرفي إن بدت لي جارتي
حتى يوارى جارتي مثاها

ويقول حاتم الطائي :

ناري ونار الجار واحدة

وإليه قبلي تنزل القدر

ما ضر جاراً لي أجاوره
أن لا يكون لبابه ستر
أغضي إذا ما جارتني برزت
حتى يوارى جارتني الحذر

الجار.. رفيق الدرب، وقرين المسكن،
ومصدر الرعاية، ومحط العناية، يعزي في
المصيبة، ويؤنس في الوحشة، ويسلي في الغربة.
الجار.. الحبيب القريب، والمعين
الناصح، والسند المعاون، والباذل في الحاجة،
والواقف في الملمة، والصامد في المهمة،
والساتر للعبورة، والحافظ للغيبة، والأولى
بالمعروف .

إهتمام الإسلام بالجار :

قال تعالى : ﴿ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ
بِالْجَنبِ ﴾ النساء: ٣٦، فهما ممن أمرنا الله
بالإحسان إليهما، والجار ذي القربى : يعني الذي
بينك وبينه قرابة، والجار الجنب : الذي ليس
بينك وبينه قرابة، وقيل الجار ذي القربى : يعني
المسلم، والجار الجنب : يعني اليهودي
والنصراني . ولا غرو ولا عجب في ذلك فقد
كان ﷺ يحسن إلى جيرانه من غير المسلمين
ولقد أخذ أصحابه هذا الخلق عنه ﷺ .

روي عن مجاهد أنه قال : كنت عند عبد
الله بن عمر - رضي الله عنهما -، وغلّام له يسلم

شاة، فقال: يا غلام إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي، حتى قال ذلك مرارا، فقال له: كم تقول هذا؟ فقال: إن رسول الله ﷺ لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه» .

وقال هشام: كان الحسن لا يرى بأساً أن تطعم الجار اليهودي والنصراني من أضحيتك .
قال ابن حجر - رحمه الله - : واسم الجار يشمل المسلم والكافر والعابد والفاسق، والصديق والعدو، والغريب والبلدي، والنافع والضار والقريب والأجنبي، والأقرب دارا والأبعد .

وقال ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر فلا يؤذ جاره» [رواه مسلم]، هذه هي المرتبة
الأولى، وهي عدم الأذى، ثم تتبعها المرتبة
الثانية وهي الإحسان إليه.

قال ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فليحسن إلى جاره» [رواه مسلم].

وقال ﷺ : «خير الأصحاب عند الله تعالى
خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله تعالى
خيرهم لجاره» [رواه الترمذي]، فاعلم أخي المسلم
أن خيريتك عند مولاك جل وعلا هي بمقدار
خيريتك عند جيرانك .

إن الإحسان إلى الجار وحسن معاملته
دليل من دلائل الإيمان، وعنوان للفلاح
والنجاح. فالواجب على المسلم أن يبدأ جاره
بالسلام، وأن يسأل عن حاله، ويعوده في مرضه،
ويعزيه في مصيبتة، ويؤنسه في وحشته، ويهئته
في أفراحه، ويصفح عن زلاته، ويعفو عن
هفواته، ولا يتتبع عوراته، ولا يضايقه في مسكنه
أو طريقه، أو غير ذلك مما يسيء إليه . ولا يسمع
فيه كلاما ولا يرضى فيه خصاما، ويغض بصره
عن محارمه، ويتلطف بأولاده ويرشده ويوجهه
في أمور دينه ودنياه، ويعينه إذا استعان، ويقرضه
إذا استقرضه، ويطعمه من طعامه .. إلى غير ذلك
من الأخلاق الفاضلة والمكارم المتعددة،

والصفات الحميدة، والخلال الرفيعة التي يجب أن يقوم بها الجار مع جاره .

لقد أوصى ﷺ الجار أن لا يبیت وجاره جائع، وبيّن أن ذلك ليس من كمال الإيمان فقال ﷺ : «ما آمن بي من بات شبعان، وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به» [صحيح الجامع].

وقال ﷺ لأبي ذر - رضي الله عنه - : «إذا طبخت مرقاً فأكثر ماءه ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف» [رواه مسلم]

وأوصى ﷺ بأمر دقيق، ولكنها غاية في الأهمية، فقال ﷺ : «من كانت له أرض فأراد أن يبيعها فليعرضها على جاره» [رواه ابن ماجه].

وانظر إلى تعاملات السلف - رضي الله عنهم - فهذا أحدهم رأى جاره يبيع داره في دين لحق به، فقال: ما قمت إذا بحق جاري إن باعها معدما، فدفعت إليه الثمن وقال: لا تبعها .

ورأى أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - ولده عبد الرحمن وهو يناصي - يعني أخذ بناصيته - جاراً له، فقال: «لا تناص جارك فإن هذا يبقى والناس يذهبون» .

ويروى أن رجلاً جاء إلى ابن مسعود - رضي الله عنه - يشتكي إليه أذية جاره، فقال له: اذهب فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه .. إلى غير ذلك من المعاملات التي أوضحت في هذا

الزمن للأسف الشديد شبه معدومة عند كثير من الناس فإما مؤذ لجاره، وإما هاجر له معرض عنه، وإما متكبر متعال عليه، وحينما تنظر إلى الآية التي أوصت بالجار تجد أنها ختمت بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا﴾ النساء: ٣٦ وذلك لحكمة عظيمة، فمن الأسباب التي تمنع الجار من الإحسان إلى جاره وحسن معاملته: الكبر والتعالي عليه، لأنه ذو منصب كبير أو مال وفير، وجاره فقير، ومن أعجب العجب أن أكثر المسلمين اليوم متجاورون بيوتا متباعدون قلوبا، قد يكون المسلم يسكن في نفس المبنى بل في نفس الدور، ومع ذلك لا يعرف جاره ولا يعرفه جاره، فضلا عن إحسان

بعضهم إلى بعض أو سؤال بعضهم عن بعض،
فأين هذه الأخلاق من أوامر الخلاق؟! لقد
تفشيت ظاهرة القطيعة وعدم الإحسان بين
الجيران، وهو أمر مؤذن بفساد المجتمعات،
ودمار العلاقات، وضياع الحرمات، والتعرض
لسخط رب الأرض والسموات .

وقد ذكر الغزالي - رحمه الله تعالى - جملة
من حقوق الجار فقال : «و جملة حق الجار : أن
يبدأ بالسلام، ولا يطيل معه الكلام، ولا يكثر عن
حاله السؤال، ويعوده في المرض، ويعزيه في
المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويهئته في
الفرح، ويظهر الشركة في السرور معه، ويصفح
عن زلاته، ولا يتطلع من السطح إلى عوراته، ولا

يضايقه في وضع الجذع على جداره، ولا في
مصّب الماء في ميدانه، ولا في مطرح التراب في
فنائه، ولا يضيق طرقة إلى الدار، ولا يتبعه النظر
فيما عمله إلى داره، ويستتر ما ينكشف له من
عوراته، وينعشه من صرعه إذا نابته نائبة، ولا
يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ولا يسمع
عليه كلاما، ويغض بصره عن حرمة، ولا يديم
النظر إلى خادمته، ويتلطف بولده في كلمته،
ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه» .

خطورة إيذاء الجار وعدم الإحسان إليه :

تعالوا بنا في إيجاز سريع نتأمل النصوص
التي وردت عن المعلم الأول والمحسن

الأكمل، والمربي الأعظم ﷺ، فوالله لقد وردت
أحاديث ترتعد لها الفرائص، ترجف لها القلوب
ويهتز لها الوجدان:

١ - نفي الإيمان عن الذي يؤذي جاره :
قال ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا
يؤمن» قيل من يا رسول الله، قال : «الذي لا يأمن
جاره بوائقه» [رواه البخاري]، والبوائق هي الغوائل
والشورور .

٢ - حرمانه من الجنة : قال ﷺ : «لا
يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه» [رواه مسلم].
والعلماء يفسرون مثل هذا الحديث بأن
القصد : لا يدخل الجنة ابتداء .

وقيل له ﷺ : إن فلانة يذكر من كثرة
صلاتها وصيامها وصدققتها، غير أنها تؤذي
جيرانها، فقال ﷺ: « هي في النار » [رواه أحمد].

٣ - أن المؤذي لجاره يتعرض للعنة
والسخط من الناس ومن الله تعالى : جاء رجل
إليه ﷺ يشكو جاره، فقال له ﷺ : « اصبر »، ثم
قال له في الثالثة أو الرابعة - أي بعد أن تردد عليه
ثلاث أو أربع مرات - « اطرح متاعك في الطريق »
قال : فجعل الناس يمرون به، يقولون مالك ؟
فيقال آذاه جاره، قال فجعلوا يقولون : فعل الله به
وفعل، فجاءه جاره فقال له : « ارجع لا ترمني
شيئا » [رواه أبو داود].

وتعال معي إلى مسك الختام، وروعة
الكلام، للمصطفى عليه الصلاة والسلام، أصخ
سمعك، وضع يدك على قلبك، وأنت تستمع
إلى ما يهز الوجدان، ويطرب الألباب، ويلهب
الضمائر، كلام يرتجف الفؤاد لروعته، وتبهر
النفس بعظمته، وترتعد الفرائص لهيبته، تسمعه
فتطرق في إجلال وخشوع وخضوع للمولى جل
وعلا، وتزداد احتراماً وافتخاراً بهذا المنهج
الحق، والدين القويم، الذي يقدر الإنسان غاية
التقدير، ويهتم بمشاعره أعظم اهتمام، ويوصي
بحقوقه أجمل وصاية، ويرعى حرمة أفضل
رعاية .

عن رجل من الأنصار قال : خرجت من أهلي أريد النبي ﷺ فإذا به قائم ورجل معه مقبل عليه فظننت أن لهما حاجة، قال الأنصاري: لقد قام رسول الله ﷺ حتى جعلت أرثي لرسول الله ﷺ من طول القيام، فلما انصرف، قلت : يا رسول الله لقد قام بك هذا الرجل حتى جعلت أرثي لك من طول القيام . قال : «ولقد رأيت»، قلت : نعم، قال : «أتدري من هو؟»، قلت : لا، قال : «ذلك جبريل مازال يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه ..» [رواه أحمد].

يا للروعة، يا للعظمة، يا للجمال والجلال،
الله جل وعلا يرسل روح القدس، ليقف وقوفا
طويلا مع محمد ﷺ حتى أشفق عليه الصحابي

من طول القيام، كل ذلك من أجلك أنت أيها
الإنسان، من أجلك أيها الجار يوصي بك،
ويحرص عليك، ويرعى حقوقك . فلتنق الله
ولنمثل أمره، وأمر نبيه ﷺ، فنحترم جيراننا
ونحسن معاملة إخواننا، لنفوز برضا ربنا،
ومحبة إخواننا .